

العصرين : الجاهلي والإسلامي ، سواء في ذلك شعراء مكة والمدينة من العرب واليهود ، رجالاً ونساء . إلا أن التغير الذي حدث في أوضاع الحياة العربية في تلك الفترة — وقد أشرنا إلى شيء منه قبلاً — أصاب المناقضة الشعرية نفسها بتغير من عدة وجوه :

أول هذه الوجوه هو الموضوع . فقد كان في الجاهلية دائراً حول مرعى أو مورد أو رياسة أو طمع أو سفاهة ، ولكنه في هذه الفترة دار حول دين ينشر ، وأمة تتكون ، ودولة تقوم ، وهداية تتبع ، صار موضوعاً سامياً ، إنسانياً تاماً ، أو — في أدنى درجاته — قومياً عربياً بعد ما كان قبلياً جاهلياً ، وهذا تحول خطير من غير شك في تاريخ النقائص .

وثانيها هو المعاني ، فهما يكن من العسير سرعة الابتكار المعنوي ، والتحول من الجاهلية إلى الإسلام في هذا الجانب ، فلقد غلبت المعاني الدينية على غيرها ، ووجد في كلام المتناقضين من المدرستين معان جاهلية قديمة تدور على الأحساب والأنساب والأيام وما إليها ، ومعان إسلامية جديدة تقوم على الكفر والإسلام والهدى والضلال . (١) .

(١) ورد في الأغاني (دار الكتب ج ٤ ص ١٣٧ - ١٣٨) : « كان يهجو رسول الله ﷺ ثلاثة رهط من قريش : عبد الله بن الزبير ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمرو بن العاص ، فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم ، بالوقائع والأيام والمآثر ، ويعيرانهم بالمثالب ، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر ، فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب . وأهون القول عليهم قول ابن رواحة ، »